

أضواء البيان

. @ 364 @

فالفرع من صعقة يوم ينفخ في الصور عام لجميع من في السماوات ومن في الأرض ، ولكن استثنى [] من شاء ، ثم بين تعالى هؤلاء المستثنين ومن يبقى في الفرع ، فبين الآمنين وهم من جاء بالحسنة ، والآخرين من جاء بالسيئة . .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { عَلَّيْهِمَ تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ } . في قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } حتى القرطبي في معنى الفتنة هنا معنيين : .

الأول : التحريق كما في قوله : { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } . .

والثاني : الابتلاء . وقد تقدم للشيخ مراراً في كتابه ودروسه ، أن أصل الفتنة الاختبار . تقول : اختبرت الذهب إذا أدخلته النار لتعرف زيفه من خالصه . .

ولكن السياق يدل على الثاني ، وهو الاختبار والابتلاء لقوله تعالى : . { وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِذَا مَثَلًا } . .

وقوله : { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } أي عددهم ، فلو كان المراد التحريق والوعيد بالنار ، لما كان مجال لتساؤل الذين في قلوبهم مرض والكافرين عن هذا المثل ولما كان يصلح أن يجعل مثلاً ، ولما كان الحديث عن عدد جنود : ربك بحال ، وفي هذه الآية الكريمة عدة مسائل هامة . .

الأولى : جعل المثل المذكور ، أي جعل العدد المعين فتنة لتوجه السؤال أو مقابلته بالإذعان ، فقد تساءل المستبعدون واستسلم وأذعن المؤمنون ، كما ذكر تعالى في صريح قوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّاءً بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ° فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ °
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ° فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِذَا مَثَلًا {
..

ثم بين تعالى الغرض من ذلك طبق ما جاء في الآية هنا { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا
وَيَهْدِي بِهِ